

مختصر كتاب /

تعطير الأنفاس من حديث الإخلاص

للشيخ / سيد عفاني

اخصره وانتقاه:

وليد الصيفي

2022م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون" هذه صفحات الإخلاص.. وهو مسك القلب، وأصل الدين.. نشم عبير المخلصين ونطوف بك في سيرهم لعلنا نقنّدي بهم، ونسير على دربهم.

اللهم يا معلم إبراهيم علمني... ويا مفهم سليمان فهمني...

عبودية القلب

"إنما الأعمال كالوعاء إذا طاب أسفلُه طاب أعلاه" حديث صحيح..

عبودية القلب أعظم وأدوم من عبودية الجوارح:

- طوبى لعبد عرف الطريق إلى الله، ووأسفاه لعبد انقضى الزمان، ونفذ عمره، وقلبه محجوب عن تصحيح المعاملة وحسن الرعاية لحق مولاه، ما شمّ للإخلاص رائحة.. فداو قلبك وأصلحه وأخلص، وصحّ النية وأخلص الطوية، فإن حاجة الله من العباد صلاح قلوبهم.
- سئل ذو النون عن السفلة من هم؟ قال: (من لا يعرف الطريق إلى الله ولم يتعرّفه).
- قال يحيى بن معاذ: (مفاوز الدنيا تُقطع بالأقدام، ومفاوز الآخرة تقطع بالقلوب).
- قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم": "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب".¹

¹ البخاري.

- قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم": "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"¹.
- قال أبو هريرة: (القلب ملك والأعضاء جنود، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده).
- قال ابن القيم: (من تأمل الشريعة في مصادرها ومواردها، علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب، وأنها لا تنفع بدونها، وأن أعمال القلوب أفرض من أعمال الجوارح، وهل يميز المؤمن من المنافق إلا بما في قلب كل واحد من الأعمال التي ميزت بينهما؟ وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح، وأكثر وأدوم، فهي واجبة في كل وقت).²
- قال ابن تيمية عن الأعمال القلبية: (هي من أصول الإيمان وقواعد الدين، مثل محبة الله ورسوله، والتوكل على الله، وإخلاص الدين لله، والشكر له، والصبر على حكمه، والخوف منه والرجاء له، وهذه الأعمال جميعها واجبة على جميع الخلق باتفاق أئمة الدين).³

صلاح القلب موقوف على إخلاصه:

- قال السوسي: (مراد الله من عمل الخلائق الإخلاص).
- وباب الإخلاص مفتوح، فادخل منه تصل إلى رحمة الله وتكن في حفظه وكفايته.
- فيا طيب قلوب امتلأت من توحيد الله والإخلاص له ومحبه وخشيته ومراقبته، قد أنساها إخلاصها لمولاهما ذكر غيره.

الإخلاص عزيز ومرتقى صعب:

- تبحث في الزحام الكثيف عن المخلصين فتروك ندرتهم.
- قال الغزالي في الإحياء: (قد انكشفت لأرباب القلوب ببصيرة الإيمان وأنوار القرآن أن لا وصول إلى السعادة إلا بالعلم والعبادة، والناس كلهم هلكي إلا العالمون،

¹ رواه مسلم.

² بدائع الفوائد.

³ الفتاوى.

والعالمون كلهم هلكي إلى العاملون، والعاملون كلهم هلكي إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم).

■ (وليت شعري كيف يصح نيته من لا يعرف حقيقة النية؟ أو كيف يخلص من صحح النية إذا لم يعرف حقيقة الإخلاص؟

فالوظيفة الأولى على كل عبد أراد طاعة الله أن يتعلم النية أولاً ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والإخلاص اللذين هما وسيلتا العبد إلى النجاة¹).

■ قال يحيى بن كثير: (تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل).

■ قال أيوب السختياني: (تخليص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الأعمال).

■ قيل لسهل بن عبد الله التستري: أيُّ شيء أشد على النفس؟ فقال: الإخلاص إذا ليس لها فيه نصيب.

■ قال الثوري: ما عالجت شيئاً أشدّ على من نيتي، إنها تتقلب على.

■ قال ابن الجوزي: ما أقل من يعمل لله مخلصاً.

■ قال أبو سليمان الداراني: طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها إلا وجه الله تعالى.

■ وأسفى! ذهب السادة وبقي قرناء الرياء والوسادة.

■ قال السري لنفسه: أراك مرآة منذ ثلاثين سنة وأنا لا أدري.

¹ إحياء علوم الدين.

النية

(يا بني انو الخير، فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير) أحمد بن حنبل.

- النية هي رأس الأمر وعموده، وأساسه وأصله الذي يبني عليه، فإنها روح العمل وقائده وسائقه، والعمل تابع لها يبني عليها، يصح بصحتها ويفسد بفسادها، وبها يُستجلب التوفيق، وبعدمها يحصل الخذلان، وبحسبها تتفاوت الدرجات في الدنيا والآخرة¹.
- عن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله "صلى الله عليه وسلم" يقول: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله بهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"².
- كل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل، لا ثمرة له في الدنيا ولا في الآخرة.

النية:

النية في اللغة: القصد والعزم.

والنية في كلام العلماء تقع بمعنيين:

- أحدهما: تمييز العبادات بعضها عن بعض، كتمييز صلاة الظهر من العصر، أو تمييز العبادات من العادات، كتمييز غسل الجنابة من غسل التبريد والتنظيف، وهذا معنى النية في كلام الفقهاء.
 - الثاني: بمعنى تمييز المقصود بالعمل، وهل هو الله وحده أم الله وغيره أم لغير الله، وهذه هي النية التي يتكلم فيها العارفون في كلامهم عن الإخلاص.
- ويعبر عنها في القرآن كثيراً بلفظ (الإرادة)، كما في قوله تعالى: "منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة".
- وقد يعبر عنها في القرآن بلفظ (الابتغاء) كما في قوله تعالى: "إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى".

¹ ابن القيم - إعلام الموقعين.

² البخاري.

فضل النية:

1. يُبعث الناس على نياتهم:

قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم": "يُبعث كل عبد على ما مات عليه".

2. من كانت الآخرة همه:

قال تعالى: "من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً".¹
قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم": "من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له".

أخي.. إن الله عز وجل يقرب من القلوب بمقدار قربها منه، همك ما أهمك.. والآخرة لا ينالها إلا قلب خال عما سوى الله.. "قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده".

3. الخلود في الجنة أو النار بالنيات:

قال الحسن: (إنما خلد أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بالنيات).²
قد يقول قائل: لم يعذب الله الكافر بالخلود في النار مدداً لا نهاية لها مع أن العدل يقتضي أن يعذبه بمقدار المدة التي كفرها؟ ولم يخلد المؤمن في الجنة مع أنه لم يطع إلا مدة محدودة من الزمان، بل قد يسلم لله قبل الغرغرة ويدخل في الإسلام ويموت ولم يسجد لله سجدة واحدة؟ والسبب في ذلك أن المؤمن ينوي أن يطيع الله أبداً، فجوزي بالخلود جزاء نيته، والكافر كان عازماً وناوياً الكفر أبداً فجوزي بنيته، قال تعالى: "ولو ردوا عادوا لما نهوا عنه".³

4. حفظ العبد على قدر نيته:

قال ابن عباس: (إنما يُحفظ الرجل على قدر نيته).
وكتب سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز: اعلم أن عون الله للعبد على قدر نيته، فمن تمت نيته تم عون الله له، وإن نقصت نقص بقدره.

¹ سورة الإسراء.

² إحياء علوم الدين.

³ الأشباه والنظائر - السيوطي

5. يبلغ المرء بنيته ما لا يبلغه بعمله:

قال ثابت البناني: نية المرء أبلغ من عمله، إن المؤمن ينوي أن يقوم من الليل، ويصوم النهار، ويخرج ماله، فلا تتابعه نفسه على ذلك، فنيته أبلغ من عمله. من رحمة الله ونعمه على عباده أن جعل من عزم ونوى فعل الخير كمن فعله، ومن نوى الغزو كمن غزا.

عن أنس بن مالك أن النبي "صلى الله عليه وسلم" كان في غزاة، فقال: "إن بالمدينة أقواماً ما سرتهم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم" قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: "وهم بالمدينة، حبسهم العذر".¹

فإذا صدقت النيات من العباد، وحالت دون القيام بالعمل المراد الحوائل، فإن صاحب النية يعدّ في عداد العاملين.

قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم": "من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه".²

قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم": "إذا مرض العبد أو سافر، كُتِبَ له ما كان يعمل صحيحاً مقيماً".³

6. النية سرّ العبودية وروحها، والعمل بغير نية لا ينفع:

قال الغزالي في الإحياء: (لم يكن العمل بغير نية مفيداً أصلاً، لأن من يمسح رأس يتيم وهو غافل بقلبه أو ظانّ أنه يمسح ثوباً لم ينتشر من أعضائه أثر إلى قلبه لتأكيد الرقة، فكان وجود ذلك كعدمه، وما سواى وجوده عدمه بالإضافة إلى الغرض المطلوب منه يسمى باطلاً، فيقال: العبادة بغير نية باطلة).

قال عبد الله بن مسعود: (لا ينفع قول إلا بعمل، ولا ينفع قول وعمل إلا بنية، ولا ينفع قول وعمل ونية إلا بما يوافق السنة).⁴

قال ابن حزم: (النية هي سرّ العبودية وروحها، ومحلها من العمل محل الروح من الجسد، ومُحال أن يُعتبر في العبودية عمل لا روح معه، بل هو بمنزلة الجسد الخراب).⁵

¹ البخاري.

² مسلم.

³ البخاري.

⁴ العدة.

⁵ إحكام الأحكام.

7. النيات تُميز الأعمال:

قد تتفق الأعمال في صورها، ويتميز بعضها عن بعض بالنيات، فبالنية يتميز العمل هل هو لله أم لغيره أم رياءً..

فالساجد لله فعله من أعظم القربات، والساجد لغير الله فعله من أعظم الذنوب. والنيات تميز العبادات عن العادات، فمن الغسل ما يكون من الأحداث، ومنه ما يكون للتبرد والاستحمام.

والنيات تميز رتب العبادات، فالنية هي التي تميز راتبة الفجر عن فرض الفجر إذا صلاهما المصلي منفرداً، وبها يتميز القضاء عن الأداء.

8. النيات تحول العادات إلى عبادات:

إن صلاح النية وإخلاصها لله يرتفعان بمنزلة العمل الدنيوي البحث فيجعلانه عبادة متقبلة. وإن خبث الطوية يهبط بالطاعات المحضة فيقلبها معاصي شائنة، فلا ينال المرء منها بعد التعب في أدائها إلا الفشل والخسار.

قال الغزالي: (ما من شيء من المباحات إلا ويحتمل نية أو نيات يصير بها من محاسن القربات وينال بها معالي الدرجات).¹

قال بعض السلف: (إنني أستحب أن يكون لي في كل شيء نية، حتى في أكلي وشربي ونومي ودخولي إلى الخلاء).

كمن قصد من الأكل التقوي على العبادة، وكمن نوى بجماع زوجته تحصين دينه، وتطبيب أهله، والتوصل به إلى نسل صالح يعبد الله تعالى بعده، قال النبي "صلى الله عليه وسلم": "وفي بضع أحدكم صدقة".

قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم": "إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها، كانت له صدقة".²

قال معاذ بن جبل: (إنني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي)، أي أرجو الأجر في إراحة جسدي بالنوم ليكون أنشط لي في العبادة بعد قيامي من نومي، أرجو الأجر على ذلك مثلما أرجو الأجر على قيامه وتعبه في عبادة الله.

¹ إحياء علوم الدين.

² البخاري.

9. النية عمل السر، وعمل السر أفضل من عمل العلانية:

النية خفية غير ظاهرة، فلا يستطيع العبد أن يرأي بنيته، لأن الناس لا اطلاع لهم على المستتر في القلوب، بخلاف الأعمال الظاهرة البينة فقد يداخلها الرياء.

10. الجمع بين النيات في العمل الواحد تجارة العلماء الراححة:

قال أبو طالب المكي: (إنما يكون للعبد من ثواب الأعمال على حسب ما يهب الله له من النيات، فربما اتفق في العمل الواحد نيات كثيرة على مقدار ما يحتمل العبد من النية، وعلى مقدار علم العامل، فيكون له بكل نية حسنة، ثم يضاعف كل حسنة عشر أمثالها، لأنها أعمال تجتمع في عمل)¹.

ومثاله: القعود في المسجد، فإنه طاعة ويمكن أن ينوي فيه نيات كثيرة حتى يصير من فضائل أعمال المتقين:

- 1- يقصد به زيارة مولاه عز وجل.
- 2- أن ينتظر الصلاة بعد الصلاة فيكون في صلاة، وهو معنى قوله تعالى: "ورابطوا".
- 3- الاعتكاف، وكف السمع والبصر والأعضاء.
- 4- عكوف الهم على الله، والفكر في الآخرة ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال في المسجد.
- 5- التجرد لذكر الله أو لاستماع ذكر وللتذكر به.
- 6- أن يقصد إفادة العلم بأمر بمعروف ونهي عن منكر.
- 7- أن يستفيد أخاً في الله.
- 8- أن يترك الذنوب حياءً من الله وحياءً من أن يتعاطى في بيت الله ما يقتضي هتك الحرمه.

مثال آخر: استعمال الطيب مباح، ويمكن جمع النيات الحسنة فيه مثل:

- 1- أن ينوي به اتباع سنة رسول الله "صلى الله عليه وسلم".
- 2- أن ينوي تعظيم المسجد واحترام بيت الله.
- 3- أن يقصد به تعظيم وتوقير الملائكة، فإنها تتأذى مما يتأذى منه ابن آدم.

¹ قوت القلوب.

- 4- أن يقصد به ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته برأئحته.
- 5- أن يقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه التي تؤدي إلى إيذاء مخالطيه.
- 6- أن يقصد حسم باب الغيبة عن المغتابين إذا اغتابوه بالروائح الكريهة فيعصون الله بسببه.

فبتكثير النيات تزكو الأعمال وتكثر الحسنات. (الأمثلة السابقة من الإحياء).

نية المؤمن خير من عمله:

قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم": "نية المؤمن أبلغ من عمله".¹

فالنية سر وأعمال السر تضاعف، وغيب لا يطلع عليها غير الله تعالى، والظواهر مشتركة، ولا يصح العمل إلا بها، والنية دائمة ومتصلة والأعمال منقطعة، وبالنية خلد أهل التوحيد في الجنة، وخلد أهل الشرك في النار.

النية في كل شيء:

قال الثوري لعلي بن الحسن: اعمل بنية، وكل بنية، واشرب بنية.

عن عمر بن ذر قال: ربما قيل لإبراهيم التيمي: تكلم! فيقول: ما تحضرني نية.

قال الشريف السمهودي: قال لي شيخنا شيخ الإسلام المناوي: إنه كان كلما يخرج إلى الدرس يقف بدلهيزه حتى يحصل النية ويصححها ثم يحضر.

النية ليست باللسان أو بالخطرات، إنما هي انبعاث القلب إلى الله تعالى وميل القلب إليه.

الطاعة تنقلب معصية بالقصد، والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد، أما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد أبداً.

وانظر ماذا فعل الذين يريدون وجه الله:

في سنة ثمان وثمانين غزا الصائفة مسلمة بن عبد الملك، وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك، فافتتحا بمن معهما من المسلمين حصن (طوانة) في جمادي من هذه السنة - وكان

¹ حسن.

حصناً منيعاً - اقتتل الناس عنده قتالاً عظيماً، ثم حمل المسلمون على النصاري، وهزموهم حتى أدخلوهم الكنيسة، ثم خرجت النصاري فحملوا على المسلمين، فانهزم المسلمون، ولم يبقَ أحد منهم في موقفه، إلا العباس بن الوليد ومن معه ابن مُحيريز الجمحي، فقال العباس لابن محيريز: أين قرأ القرآن الذين يريدون جه الله عز وجل؟ فقال: نادهم يأتوك، فنادي: يا أهل القرآن، فترجع الناس فحملوا على النصاري، فكسروهم ولجئوا إلى الحصن، فحاصروهم حتى فتحوه.¹

¹ البداية والنهاية.

الإخلاص

من وجد الله فماذا فقد؟! ومن فقد الله فماذا وجد؟!
أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله: أن يطلع على قلبك وأنت لا تريد من الدنيا غيره.
قال الفضيل بن عياض: لا يسلم لك قلبك، حتى لا تبالي من كل الدنيا.

الإخلاص عكوف القلب على مولاه:

الإخلاص إنابة وتسليم "وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له".
فالإنابة هي عكوف القلب على الله كاعتكاف البدن في المسجد لا يفارقه، وحقيقة ذلك: عكوف القلب على محبته وذكره بالإجلال والتعظيم، وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له والمتابعة لرسوله "صلى الله عليه وسلم"، ومن لم يعكف قلبه على الله وحده عكف على التماثيل المتنوعة، كما قال إمام الحنفاء لقومه: "ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون"، فافتسم هو وقومه حقيقة العكوف، فكان حظ قومه العكوف على التماثيل، وكان حظه العكوف على الرب الجليل.
فتعلق القلب بغير الله واشتغاله به والركون إليه عكوف منه على التماثيل التي قامت بقلبه، وهو نظير العكوف على تماثيل الأصنام.¹

الإخلاص لغة:

تنقية الشيء وتهذيبه، أو الاختيار.

الإخلاص اصطلاحاً:

قال الكفوي: الإخلاص هو القصد بالعبادة إلى أن يعبد بها الله وحده.
قال المناوي: الإخلاص: تخليص القلب من كل شوب يكدر صفاءه.
قال الجرجاني: الإخلاص ألا تطلب لعملك شاهداً غير الله.

¹ ابن القيم - الفوائد.

قال السوسي: الإخلاص فقد رؤية الإخلاص، فإن من شاهد في إخلاصه الإخلاص فقد احتاج إخلاصه إلى إخلاص.

قال سهل التستري: نظر الأكياس في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا: أن تكون حركته وسكونه في سره وعلايته لله وحده، لا يمازجه شيء، لا نفس ولا هوى ولا دنيا.

قال أبو عثمان المغربي: الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق، ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله.

قال حذيفة المرعشي: الإخلاص استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن، والرياء أن يكون ظاهره خير من باطنه، والصدق في الإخلاص أن يكون باطنه أعمر من ظاهره.

قال الجنيد: الإخلاص سر بين الله وبين العبد، لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله.

قال يوسف بن الحسين: أعز شيء في الدنيا الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي، فكأنه ينبت على لون آخر.

قال الفضيل بن عياض: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

فضل الإخلاص:

1. الإخلاص مسك القلب، ينقيه من الحقد والخيانة:

الإخلاص ماء حياة القلب، ومدار الفلاح كله عليه، فإنه يظهر القلب من الحقد والشحناء والخيانة.

2. الإخلاص وصية الله للمرسلين وأمره إليهم وإلى أممهم:

قال تعالى: "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً، قال الحافظ في الفتح: (قال أبو العالية: وصاهم بالإخلاص في عبادته).

قال تعالى: "قل إني أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ".

قال تعالى: "هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين".

3. الإخلاص هو أصل الدين وقاعدته، فهو التوحيد العملي، وهو خلاصة الدعوة النبوية،

وهو قطب القرآن:

قال تعالى: "وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة، وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء"، وهذا حقيقة لا إله إلا الله، وبذلك بعث جميع الرسل.¹
شجرة الإخلاص في القلب:

قال ابن القيم في الفوائد: (الإخلاص والتوحيد شجرة في القلب، وفروعها الأعمال، وثمرها طيبُ الحياة في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة، وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة، فثمرة التوحيد والإخلاص كذلك).

والشرك والكذب والرياء شجرة في القلب، ثمرها في الدنيا الخوف والهَم والغم وضيق الصدر وظلمة القلب، وثمرها في الآخرة الزقوم والعذاب المقيم.
وقد ذكر الله هاتين الشجرتين في سورة إبراهيم، قال تعالى: "ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة.... قرار".

4. تحفظ الأمة وتتصر بإخلاص رجالها:

قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم": "إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم".²

قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم": "بشّر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب".³

قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم": "لصوت أبي طلحة في الجيش خير من ألف رجل"⁴، وما ذاك إلا لإخلاصه وتجرده لله.

وانظر كيف فُتحت كابل عاصمة أفغانستان:

لما اصطف الناس لفتح كابل قال قتيبة قائد الجيش: أين محمد بن واسع؟ قالوا: في أقصى الميمنة رافعاً أصبعه إلى السماء، فقال: أبشروا بالنصر، هذه الأصبع الفاردة أحب إليّ من ألف سيف شهير وشاب طرير، فلما أتاه قال: ماذا كنت تصنع؟ قال: كنت آخذ لك بمجامع الطرق: الدعاء.

وانظر إلى إخلاص أبي معاوية الأسود وكان ضريراً:

¹ ابن تيمية - الفتاوى.

² صحيح.

³ صحيح.

⁴ صحيح.

عن أحمد بن فضيل العلي قال: غزا أبو معاوية الأسود، فحصر المسلمون حصناً فيه عالج لا يرمي حجراً لإنسان إلا أصابه، فشكوا إلى أبي معاوية، فقرأ: "وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى"، استروني منه، فلما وقف قال: أين تريدون بإذن الله؟ قالوا: المذاكير، فقال: أي رب سمعت ما سألوني فأعطني ما سألوني، بسم الله، ثم رمى المذاكير بإذن الله، فمرّ السهم حتى إذا قرب من حائط الحرس ارتفع حتى إذا أخذ العالج في مذاكيره فوقع، وقال: شأنكم به.

5. رضى الله ثمرة الإخلاص:

قال تعالى: "وما لأحد عنده من نعمة تجزى، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى، ولسوف يرضى".

6. الإخلاص أحد شرطي قبول العمل:

ما من عمل يوم القيامة إلا وينشر له ديوانان: لمن وكيف؟

لمن: سؤال عن الإخلاص لله.

وكيف: سؤال عن المتابعة لرسول الله "صلى الله عليه وسلم".

7. الإخلاص رفعة وعلو:

قال النبي "صلى الله عليه وسلم" لسعد: "إنك لن تُخلف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة".

قال أبو بكر المروزي: سمعت رجلاً يقول لأبي عبد الله - أحمد بن حنبل - وذكر له الصدق والإخلاص، فقال أبو عبد الله: بهذا ارتفع القوم. إما أن تكون عبداً لله أو عبداً لغيره.

8. الإخلاص لله يورث الفهم عن الله والعلم والحكمة:

قال تعالى: "واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم".

لا تلج المعرفة إلا في قلب خالص.

قال مكحول: ما أخلص عبد قط أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

قيل لحمدون بن أحمد: ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟

قال: لأنهم تكلموا لعز الإسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعز النفوس وطلب الدنيا ورضا الخلق.¹

¹ ابن الجوزي - صفة الصفوة.

9. التوسل إلى الله بالإخلاص له:

كما في حديث الثلاثة أصحاب الغار: "اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ففرِّجْ عنا ما نحن فيه من الصخرة، فانفرجت الصخرة".¹

10. الإخلاص يصرف الفحشاء ويقضي على الشهوات والشبهات:

قال تعالى عن نبيه يوسف: "ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين".

11. لا سلطان للشيطان على المخلصين، ولا سبيل له على إغوائهم، فهم على صراط

مستقيم:

قال تعالى عن الشيطان وإغوائه لمن في الأرض: "قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين، إلا عبادك منهم المخلصين، قال هذا صراط علي مستقيم، إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين".

أين الثمن؟

قال الفيض بن إسحاق: قال لي الفضيل: تريد الجنة مع النبيين والصديقين، وتريد أن تقف الموقف مع نوح وإبراهيم ومحمد "صلى الله عليه وسلم"؟ بأي عمل وأي شهوة تركتها لله عز وجل؟ وأي قريب باعدته في الله؟ وأي بعيد قربته في الله؟²

¹ متفق عليه.

² تهذيب الحلية.

حقيقة الإخلاص ودرجائه

الإخلاص: تصفية العمل من كل شوب.

- شيخ الإسلام الهروي -

قال ابن القيم:

أي لا يمازج عمله ما يشوبه من شوائب إرادات النفس:

- إما طلب التزين في قلوب الخلق.
- وإما طلب مدحهم والهرب من ذمهم.
- أو طلب تعظيم.
- أو طلب أموالهم.
- أو خدمتهم أو محبتهم وقضائهم حوائجه.¹

درجات الإخلاص:

1. الدرجة الأولى:

إخراج رؤية العمل عن العمل، والخلاص من طلب العوض على العمل، والنزول عن الرضى بالعمل.

- إخراج رؤية العمل: بمشاهدة العبد لمنة الله عليه وتوفيقه له، وأن بالله لا بنفسه، وأن النفس منبع كل شر ومأوى كل سوء، فالخير الذي يصدر منها إنما هو من الله وبه. وأيضاً بمشاهدة عيب النفس كما ذكرنا، فالعبد يسير إلى الله بين مطالعة منة الله ومشاهدة عيب النفس.
- الخلاص من طلب العوض على العمل: بعلمه أنه عبد محض، والعبد لا يستحق على خدمته لسيده عوضاً ولا أجر، إذ هو يخدمه بمقتضى عبوديته، فما يناله من سيده من الأجر والثواب تفضل منه، وإحسان إليه.

¹ مدارج السالكين.

- النزول عن الرضى بالعمل: بمطالعة عيوبه وآفاته، وتقصيره فيه، وما فيه من حظ النفس ونصيب الشيطان، وبعلمه بما يستحقه الرب جل جلاله من حقوق العبودية وآدابها الظاهرة والباطنة، وضعف العبد عن وفاء حقها.

2. الدرجة الثانية:

الخجل من العمل، مع بذل الجهد، وتوفير الجهد بالاحتماء من الشهود، ورؤية العمل في نور التوفيق من عين الجود.

3. الدرجة الثالثة:

إخلاص العمل بالخلاص من العمل، تدعه يسير سير العمل، وتسير أنت مشاهداً للحكم، حراً من رق الرسم.

- أي تجعل عملك تابعاً للعلم، موافقاً له، تسير بسيره، ناظراً إلى الحكم الديني الأمري متقيداً به، فعلاً وتركاً، ناظراً إلى ترتب الثواب والعقاب عليه سبباً وكسباً، ومع ذلك فتسير أنت بقلبك، مشاهداً للحكم الكوني القضائي، الذي تتطوي فيه الأسباب والمسببات، ولا يبقى هناك غير محض المشيئة وتفرد الرب وحده بالأفعال، ومصدرها عن إرادته ومشيئته.

- وأما قوله (حراً من رق الرسم): فالحرية التي يشيرون إليها: هي عدم الدخول تحت عبودية الخلق والنفس، والدخول تحت عبودية الحق وحده، ومرادهم بالرسم: ما سوى الله، فكله رسوم، من منازل وديار ومخلوقات، أي: فتخلص نفسك من عبودية كل ما سوى الله.

• هذه الدرجات من كتاب (مدارج السالكين) لابن القيم.

لفتة:

قال الغزالي: (الإخلاص أن تكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة).

علامات الإخلاص

أولاً: إخفاء العمل

قال النبي "صلى الله عليه وسلم": "إن الله يحب العبد التقي النقي الخفي".¹
طوبى للأتقياء الأنقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا حضروا لم يعرفوا.
(ففرّ يا أخي من طنين الشهرة وضجيج الإعلان إن أردت طريق الإخلاص، وكن كالجذر من الشجرة به قوامها وحياتها، ولكنه مستور في باطن الأرض لا تراه العيون، أو كالأساس من البناء، لولاه ما ارتفع جدار ولا قام بيت، ولكن أحداً لا يراه) القرضاوي - النية والإخلاص
قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم": "طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في السوق كان في السوق، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع له".²
فأخف مكانك وأقبل على شأنك وعالج بليل.

عن الزبير بن العوام قال: (من استطاع منكم أن يكون له خبءٌ من عمل صالح فليفعل).³
عن سفيان بن عيينة قال: (قال أبو حازم: اكنم حسناتك أشد مما تكتنم سيئاتك).⁴
قال سفيان الثوري: (كل شيء أظهرته من عملي فلا أعدّه شيئاً، لعجز أمثالنا عن الإخلاص إذا رآه الناس).⁵

قال الشافعي: (ينبغي للعالم أن يكون له خبيئة من عمل صالح فيما بينه وبين الله، فإن كل ما ظهر للناس من علم أو عمل.. قليل النفع في الآخرة).⁶
قال تعالى: "تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون، فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون"، قال ابن القيم: (تأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس).

¹ مسلم.

² البخاري.

³ الزهد - أحمد بن حنبل.

⁴ تهذيب الحلية.

⁵ تنبيه المغترين.

⁶ تنبيه المغترين.

عن يزيد بن عبد الله أن رجلاً أتى تميمًا الداري فقال: كيف صلاتك بالليل؟ فغضب غضباً شديداً فقال: والله لركعة أصليها في جوف الليل في السر أحبّ إليّ من أن أصلي الليل كله قم أقصّه على الناس".¹

كان أيوب السخيتاني يقوم الليل كله، فيخفي ذلك، فإذا كان عند الصبح رفع صوته كأنه قام تلك الساعة.²

كان علي بن الحسين يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل، فيتصدق به ويقول: إن صدقة السر تطفئ غضب الرب، ولما مات وجدوا على ظهره أثراً مما كان يحمل بالليل جرب الدقيق إلى المساكين، وكان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به في الليل.

صام داود بن أبي هند أربعين سنة لا يعلم به أهله ولا أحد، وكان خرازاً، يحمل معه غداء من عندهم، فيتصدق به في الطريق، ويرجع عشيّاً فيفطر معهم، فيظن أهل السوق أنه قد أكل في البيت، ويظن أهله أنه قد أكل في السوق.³

كان إبراهيم النخعي إذا قرأ في المصحف فدخل داخل غطاه.⁴

قال الثوري: البكاء عشرة أجزاء، تسعة لغير الله، وواحد لله، فإذا جاء الذي لله في السنة مرة فهو كثير.⁵

التقى سفيان الثوري والفضيل بن عياض فتذاكرا، فبكيا، فقال سفيان: إني لأرجو أن يكون مجلسنا هذا أعظم مجلس جلسناه بركة، قال الفضيل: ترجو! لكني أخاف أن يكون أعظم مجلس جلسناه علينا شؤماً، أليس نظرت إلى أحسن ما عندك، فتزيت به لي، وتزيت لك به، فعبدتني وعبدتك، فبكي سفيان حتى علا نحيبه، ثم قال: أحياك الله كما أحيتني.⁶

كان أيوب السخيتاني إذا وعظ فرق، فرق من الرياء، فيمسح وجهه ويقول: ما أشد الزكام! قال الحسن البصري: إن كان الرجل ليجلس المجلس، فتجيئه عبرته فيردّها، فإذا خشي أن تسبقه قام.⁷

¹ الزهد.

² الحلية.

³ صفة الصفوة.

⁴ المدهش.

⁵ الحلية.

⁶ حلية الأولياء.

⁷ الزهد.

قال محمد بن واسع: لقد أدركتُ رجالاً، كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة، قد بلَّ ما تحت خدّه من دموعه، لا تشعر به امرأته، ولقد أدركتُ رجالاً يقوم أحدهم في الصف فتسيل دموعه على خده، ولا يشعر به الذي إلى جنبه.¹

قال ابن المنكدر: إني لَليّلة هذا المنبر جوف الليل أدعو، إذا إنسانٌ عند أسطوانة، مقنّع رأسه، فأسمعه يقول: أيُّ رب، إن القحط قد اشتد على عبادك، وإني مُقسمٌ عليك يا رب إلا سقيتهم! قال: فما كان إلا ساعة، إذا بسحابة قد أقبلت، ثم أرسلها الله سبحانه، وكان عزيزاً على ابن المنكدر أن يخفى عليه أحد من أهل الخير، فقال: هذا بالمدينة ولا أعرفه؟! فلما سلّم الإمام تنقّع وانصرف، فاتبعته، ولم يجلس للقاصّ، حتى أتى دار أنس، فدخل موضعاً وأخرج مفتاحاً ففتح ثم دخل، قال: ورجعتُ، فلما سبّحت أتيته، فإذا أنا أسمع نجراً في بيته، فسلمتُ ثم قلت: أدخل؟ قال: ادخل، فإذا هو ينجر أقداماً يعملها، فقلت: كيف أصبحت أصلحك الله؟ قال: فاستشهدها وأعظمها مني، فلما رأيتُ ذلك قلت: إني سمعت إقسامك البارحة على الله عز وجل، يا أخي.. هل لك في نفقة تغنيك عن هذا، وتفرّغك لما تريد من الآخرة؟ فقال: لا! ولكن غير ذلك، لا تذكرني لأحد، ولا تذكر هذا عند أحد حتى أموت، ولا تأتيني يا ابن المنكدر، فإنك إن تأتيتي شهرتني للناس، فقلتُ: إني أحبُّ أن ألقاك، فقال: القني في المسجد، وكان فارسياً، قال: فما ذكر ذلك ابن المنكدر لأحد حتى مات الرجل. قال ابن وهب: بلغني أنه انتقل من ذلك الدار، فلم يره ولم يدر أين ذهب، فقال أهل تلك الدار: الله بيننا وبين ابن المنكدر، أخرجَ عن الرجل الصالح.²

قال الشافعي: وددتُ أن الخلق تعلموا هذا على ألا يُنسب إليّ حرفٌ منه. عن أبي موسى الأشعري قال: خرجنا مع رسول الله "صلى الله عليه وسلم" في غزاة، ونحن ستة نفر، بيننا بغير نتعقبه، قال: فنقبت أقدامنا (رَقَّتْ وتقرّحت)، فنقبت قدماي، وسقطت أظفاري، فكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسُميت غزوة ذات الرقاع، لما كنا نعصب على أرجلنا من الخرق، قال أبو بردة: فحدث أبو موسى بهذا الحديث، ثم كره ذلك، قال: كأنه كره أن يكون شيئاً من عمله أفشاه.³

1 الزهد.

2 حلية الأولياء.

3 البخاري.

قال عبدة بن سليمان: كنا في سرية مع عبد الله بن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو، فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل، فطارده ساعة، فطعنه فقتله، ثم آخر فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز فخرج إليه رجل، فطارده ساعة، قطعنه فقتله، فزادهم عليه الناس، وكنت فيمن ازدحم عليه، فإذا هو يلثم وجهه بكمه، فأخذتُ بطرف كُمه فمددته، فإذا هو عبد الله بن المبارك، فقال: وأنت يا عمرو ممن يُشنع علينا.. ممن يشنع علينا!! - وكأن في الأمر إظهاراً للمساوى.. إن كانت هذه مساوئ، فكيف الحسنات!¹

الطاعة والمعصية بين الإسرار والعلانية:

ينبغي على المؤمن أن يجتهد في إخفاء طاعاته، وهذا بالنسبة للنوافل والطاعات، أما الفرائض والأركان فهذه يجب إظهارها، تعظيماً لشعائر الإسلام، وإبرازاً لقوة تمسك المسلمين به، ومنعاً للتهمة وإساءة الظن بالمسلم، وضرباً للمثل للاقتداء به.

ومع هذا يمكن أن تظهر نوافل الطاعات من المسلم من غير قصد لإظهارها مراعاةً للناس، وقد يفرح بذلك ويبتهج، فرح الإنسان بكل خير يحققه لنفسه:

أ. وهو فرح محمود إذا كان شكراً لله على نعمة التوفيق وحسن لطفه بإخفاء السيئات وإظهار الحسنات، كما قال تعالى: "قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون".

ب. وقد يكون فرحه بظهور الطاعة، لأنه سيكون ذلك حافزاً لغيره ليقنتدي به، فيكثر الصالحون، فيتضاعف الأجر عند الله.

ت. وقد يكون فرحه لأن المطلعين على عمله سيحبونه في الله وبهذا يثابون على ذلك. ويعرف صدق هذه الدعوى إذا استوى عنده مدحه ومدح غيره من الصالحين.

ولكن إن كان العبد لا يأمن على نفسه في هذه الحالات الرياء، فالإخفاء أولى وأفضل له.

وأمر الشرع بإخفاء المعاصي وكتمان الذنوب عن الناس، لا مراعاة للناس، ولا طلباً لثنائهم، وظهوراً بصورة يحبونها وإن كان غير صورته الحقيقية، إنما لعدة أسباب:

¹ صفة الصفوة.

- أ. لأننا مأمورون أن نستتر بستره سبحانه، ولا نفصح أنفسنا.
- ب. للتحامي عن هتك ستره، وظهور أمره، خوفاً من سقوط وقع المعصية من النفس، وجرأتها عليها، لئلا تألف النفس الذنوب فتتهمك فيها.
- ت. لئلا يقلده غيره، فيكون سبباً في انتشار معاصي الله في الأرض، وتجروء الناس عليها.
- ث. ليكون في مظنة العفو والمعافة من الله تعالى: "كل أمتي معافى إلا المجاهرين"¹.
- ج. ليكون من أهل الحياء، الذين يمنعهم حياؤهم وسلامة طبعهم من إظهار المعصية. وغيرها من الأسباب.

ثانياً: الخوف من الشهرة

- قال ابن مسعود: كونوا ينابيع العلم، مصابيح الهدى، أحلاس البيوت، سرج الليل، جدد القلوب خلقان الثياب، تعرفون في أهل السماء وتخفون في أهل الأرض.
- قال أيوب السختياني: ما صدق عبد قط أحب الشهرة.
- قال الإمام أحمد: طوبى لمن أخل الله ذكره، وقال: أشتهي ما لا يكون، أشتهي مكاناً لا يكون فيه أحد من الناس.
- قال الإمام أحمد: القلائس من السماء تنزل على رؤوس قوم يقولون برؤوسهم هكذا.²
- والمعنى: لا يريدون الرئاسة وهي تقع عليهم.
- قال ذو النون: الاستئناس بالناس من علامة الإفلاس.
- قال الحسن البصري: إن خفق النعال حول الرجال قلما تثبت معه قلوب الحمقى من أمثالنا.³
- عن بشير بن صالح قال: دخل ابن محيريز حانوتاً بدانق، وهو يريد أن يشتري ثوباً، فقال رجل لصاحب الحانوت: هذا بن محيريز، فأحسن بيعه، فغضب ابن محيريز وخرج، وقال: إنما نشترى بأموالنا، لسنا نشترى بديننا.
- قال الفضيل: إن قدرت أن لا تعرف فافعل، وما عليك إن لم يُشَنَّ عليك، وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت عند الله محموداً!

¹ متفق عليه.

² مناقب أحمد - ابن الجوزي.

³ تنبيه المغترين.

قال عبد الرحمن بن مهدي: كنت أجلس يوم الجمعة في مجلس الجامع، فيجلس إليّ الناس، فإذا كانوا كثيراً فرحت، وإذا قلّوا حزنت، فسألت بشر بن منصور فقال: هذا مجلس سوء لا تعد إليه، قال: فما عدت إليه.

اشتهر إبراهيم بن أدهم ببلى، فقل: هو في البستان الفلاني، فدخل الناس يطوفون ويقولون: أين إبراهيم بن أدهم؟ فجعل يطوف معهم ويقول: أين إبراهيم بن أدهم؟! قال إبراهيم بن أدهم: ما اتقى الله من أحب أن يذكره الناس بخير.¹ مرّ الحسن البصري على طاووس وهو يملئ الحديث في الحرم في حلقة كبيرة، فقرب منه وقال له في أذنه: إن كانت نفسك تعجبك فقم من هذا المجلس، فقام طاووس فوراً. يقول عبد الله بن عباس: إن لله عبداً أسكتهم خشية الله، وإنهم لفصحاء.

من دلائل الإخلاص وعلامات المخلصين: الزهد في الرئاسة وترك طلبها. قال يوسف بن أسباط: الزهد في الرياسة أشد من الزهد في الدنيا.² قال الفضيل بن عياض: ما أحب أحد الرياسة إلا أحبّ ذكر الناس بالنقائص والعيوب ليطمئنّ هو بالكمال، ويكره أن يذكر الناس أحداً غيره بخير، ومن عشق الرياسة فقد تودّع من صلاحه.

قال يحيى بن معاذ: لا يُفلح من شمت منه رائحة الرياسة.

ثالثاً: اتهام النفس ومقتها

(أدركنا أقواماً كنا في جنبهم لصوصاً) - الربيع بن خثيم - من دلائل الإخلاص وعلامات المخلصين اتهامهم لأنفسهم بالتقصير في حق الله وعدم القيام بأداب العبودية لملك الملوك، بل ومقتهم لأنفسهم ولا يرونها أهلاً لأي فضل، قال تعالى: "والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة أنهم إلى ربهم راجعون". هذا الصديق يمسك لسانه ويقول: هذا الذي أوردني المهالك. وهذا عمر يقول: يا حذيفة، هل أنا منهم - يعني المنافقين - أو سماني لك رسول الله؟

¹ تنبيه المغترين.

² تهذيب الحلية.

عن سهل بن أسلم: كان بكر بن عبد الله المزني إذا رأى شيخاً قال: هذا خير مني، عبد الله قبلي، وإذا رأى شاباً قال: هذا خير مني، ارتكب من الذنوب أكثر مما ارتكبت.¹
قال إبراهيم النخعي: لقد تكلمت ولو وجدت بداً ما تكلمت، وإن زماناً أكون فيه فقيه الكوفة لزمان سوء.

قال أيوب السختياني: إذا ذكرَ الصالحون كنتُ عنهم بمعزل.
وقال مالك بن دينار: إذا ذكرَ الصالحون فأف لي وتُفّ.
أخذ الفضيل بن عياض بيد سفيان بن عيينة خارج الحرم وقال له: إذا كنتَ تظن أنه قد صلى إلى هذه القبلة من هو شر مني ومنك فبئس ما تظن.
وزين القراء محمد بن واسع يقول: لو كان يوجد للذنوب ريح، ما قدرتم أن تدنو مني من نتن ريحي.

عن يونس بن عبيد قال: إني لأعدّ مائة خصلة من خصال البر، ما فيّ منها خصلة واحدة.²
كان الحسن البصري كثيراً ما يعاتب نفسه ويوبخها بقوله: "تتكلمين بكلام الصالحين القانتين العابدين، وتفعلين فعل الفاسقين المرائين، والله ما هذه صفات المخلصين".³
قال مطرف بن عبد الله لما وقف بعرفة: اللهم لا تردهم من أجلي، وقال بكر بن عبد الله المزني: ما أشرفه من مقام وأرجاه لولا أنني فيهم.
قال داوود الطائي: اليأس سبيل أعمالنا هذه، ولكن قلوبنا تحن إلى الرجاء.

العلامة الرابعة: البعد عن السلاطين والأمراء وأصحاب الرئاسات

يقول ابن الجوزي في النهي عن مخالطة السلاطين: (بقدر صعود الإنسان في الدنيا تنزل مرتبته في الآخرة).

قال سعيد بن المسيب: إذا رأيتم العالم يغشى أبواب الأمراء فهو لص.
كان حذيفة بن اليمان يقول: إني لأكره للعالم أن يقرب من أبواب الأمراء، فإنها مواقف الفتن في دار الدنيا.

¹ تهذيب الحلية.

² تهذيب الحلية.

³ تنبيه المغترين.

كان ميمون بن مهران يقول: صحبة السلطان مخاطرة عظيمة، فإنك إن أطعته خاطرتَ بدينك، وإن عصيته خاطرتَ بنفسك، فالسلامة أن لا تعرفه ولا يعرفك.

العلامة الخامسة: ألا يغتر بمدح الناس، وأن يستوي عنده مدح الناس وذمهم له ويسهل عليك ذلك علمك أنه ليس أحد ينفع مدحه ويزين، ويضرّ ذمه ويشين إلا الله وحده. قيل ليحيى بن معاذ: متى يكون العبد مخلصاً؟ فقال: إذا صار خُلِقَ كخلق الرضيع، لا يبالي من مدحه أو ذمه.

قيل لذي النون المصري: متى يعلم العبد أنه من المخلصين؟ فقال: إذا بذَلَ المجهود في الطاعة، وأحبَّ سقوط المنزلة عند الناس. فالمخلص من لا يغرّه المدح عن حقيقة نفسه التي بين جنبيه، فهو يعلم منها ما لا يعلمه الناس، ويحمد الله أنه ليست للذنوب رائحة. قال ابن مسعود: لو علمتم ما أغلق عليه بابي ما تبعني منكم رجالن.

العلامة السادسة: استواء العمل في القيادة والجنديّة

أن تكون عبداً لله لا عبداً للمناصب والجاه، قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم": "طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، وإن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يُشفع".¹ لما توفي الصديق وتولى عمر الخلافة، فعزل خالداً أثناء معركة اليرموك، كتب عمر إلى أبي عبيدة بعزل خالد، فجمع أبو عبيدة الناس وجلس لهم على المنبر، وقام صاحب البريد، فسأل خالداً من أين أجاز الأشعث بن قيس بعشرة آلاف، فلم يجبه، وأبو عبيدة ساكت لا يقول شيئاً، فقام بلال مؤذن رسول الله "صلى الله عليه وسلم" فقال: "إن أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا"، ونزع عمامته، فلم يمنعه خالد سمعاً وطاعة، ووضع قلنسوته، ثم أقامه فعقله بعمامته، وقال: "من أين أجزت الأشعث؟، من مالك أجزت أم من إصابة أصبتها؟ فقال: بل من مالي، فأطلقه وأعاد قلنسوته، ثم عمّمه بيده وقال: "نسمع ونطيع لولاتنا، ونفخ ونخدم موالينا".²

¹ البخاري.

² طبقات ابن سعد.

لله دره.. يُعزل وهو في المعركة، وفي أوج انتصاره، فما ترك العزل في نفسه أثراً، لا فرق عنده أن يكون قائداً عاماً، أو مرؤوساً أو رجلاً من المسلمين، هذه والله العظمة الإنسانية والإخلاص في أبهى مشاهد.

نعم يا خالد.. نعم يا سيدي.. إن دروس الطاعة في الميدان والإخلاص ليست بالشيء الهين، تسمع وتطيع ويعقلك بعمامتك بلال الحبشي.. لا يجرؤ أحد أن يملي هذا الدرس الغالب في التوحيد إلا عمر الفاروق، ولا يفهم هذا الدرس أحدٌ سواك.

العلامة السابعة: ألا يغيره المنع والعطاء

قال النبي "صلى الله عليه وسلم": "تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة، إن أُعطيَ رضي، وإن لم يُعطَ سخط".¹

فبعض العاملين في ميدان الدعوة إذا مسّه أحد إخوانه بكلمة تؤذيه أو جرح شعوره بتصرف يسوءه في نفسه، أو في أحد من خاصته، سرعان ما يغضب ويتبرم، ويدع العمل والحركة، ويعتزل ميدان الجهاد والدعوة.

والإخلاص للغاية يقتضي أن يصرّ على دعوته، ويثبت على اتجاهه، مهما أخطأ في حقه المخطئون، أو أسرف المسرفون، لأنه يعمل لله لا لنفسه ولا لذويه.²

العلامة الثامنة: الفرح بكل موهبة وكفاية تبرز في الصف الإسلامي

بعض العاملين في المحيط الإسلامي يقاتل دون موقعه القيادي، ولا يتنازل عنه بحال، وكأنه ولاه الله هذا المنصب بوحى، بل لو كان في سقيفة بني ساعدة لجادل الصديق وظن أنه أهل للخلافة، وأنه أليق بها من الصديق، وأنه لها وأنا وجدت له، وهذا طرف من الرياء الجليّ بله الخفي، وإن أوهم نفسه بأنه الأقدر على تيسير دفة الأمور.

العلامة التاسعة: الحرص على العمل المتعدي نفعه للغير وإن كانت لذة النفس في عمل

مفضول عنه

من علامات الإخلاص: الحرص على العمل الأرضي لله، لا الأرضي للنفس.

¹ البخاري.

² القرضاوي - النية والإخلاص.

فقد يتلذذ بصيام نافلة، أو بصلاة ضحى، ولو شغل هذا الوقت بإصلاح ذات البين لكان أولى. عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم": "ألا أخبركم بأفضل درجة من الصيام والصلاة والصدقة؟ إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة". - صحيح - ويحتاج الرجل إلى الإخلاص وتغليب النفع المتعدي إلى الغير على النفع القاصر، وفهم فقه الأولويات.

فمثلاً بذل المال للمستضعفين من المجاهدين أولى وأعظم أجراً من بذله في الاعتماد في رمضان.

العلامة العاشرة: الصبر على طول الطريق دون التفات إلى النتائج

الاستمرار على الطريق والصبر على قلة الناصر وانتفاش الباطل، وعلى إعراض القلوب عن طريق علام الغيوب.. هذا الصبر علامة على الإخلاص والصدق. ويكفي مثلاً ناصعاً نبي الله نوح وصبره وثباته مع طول المدة وقلة الناصر وندرة الاستجابة، وأنبياء الله ورسله الذين لاقوا في دعوتهم ما لاقوا، فما استوحشوا من طول الطريق، وتركوا نتيجة الدعوة لله يهیی أسبابها، ويحدد أجلها، وهو يعلم يقيناً أن الله لا يضيع أهله.

ثمرات الإخلاص

1. النصر والكفاية الربانية:

قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم": "هل تنصرون إلا بضغائنكم؟ بدعوتهم وإخلاصهم".¹
والإمداد على قدر الاستعداد، والعطية على قدر ما في القلوب من تجريد النية.

2. تفريج الكروب في الدنيا:

وما قصة أصحاب الغار منا ببعيد.

3. حب أهل السماء للمخلص ووضع القبول له في الأرض والصيت الطيب عند

الناس:

كما في حديث: "إذا أحب الله تعالى العبد نادى جبريل...".

4. سكينة القلب وطمأنينته:

قال تعالى: "لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً".

5. القوة الروحية:

الإخلاص يمنح المخلص قوة روحية هائلة، مستمدة من سمو الغاية التي أخلص بها نفسه، وحرر لها إرادته، وهو رضا الله ومثوبته.
فإن الطامع في مال أو منصب أو لقب أو زعامة: ضعيف كل الضعف، إذا لاحت له بادرة أمل في تحقيق ما يطمح فيه من دنيا.. ضعيف أمام الذين يملكون إعطاءه ما يطمح إليه.. ضعيف إذا خاف فوات مغنم يرجوه، أما الذي باعها لله، فهو موصول بالقوة التي لا تضعف، والقدرة التي لا تعجز، ولهذا كان في تجرده وإخلاصه أقوى من كل مادية يراها الناس.

¹ صحيح.

إن المخلص لله لا يلين للوعد، ولا ينحني للوعيد، لا يذلّه طمع، ولا يثنيه خوف، أسوته في ذلك النبي "صلى الله عليه وسلم" الذي عرض عليك الملك والشرف والمال وسائر أعراض الدنيا ليكيف عن دعوته، فأبى لأنه عرف غايته، فأخلص لها، وعرف ربه فلم يشرك به شيئاً.¹

6. الدوام والاستمرارية في العمل:

فالذي يعمل لشهوة بطن أو فرج، يكفّ إذا لم يجد ما يشبع شهوته، والذي يعمل أماً في شهرة أو منصب يثاقل ويتراخي إذا لاح له أن أمله بعيد المنال، والذي يعمل لوجه الرئيس أو الأمير، ينقطع أو يتوانى إذا عزل الأمير أو مات الرئيس. أما الذي يعمل لله فلا ينقطع ولا ينتهي ولا يسترخي أبداً، لأن الذي يعمل له لا يغيب ولا يزول، فوجه الله باقٍ إذا غابت وجوه البشر، أو هلك الخلق كل الخلق.. "كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون".

ولهذا قال الصالحون: ما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل.²

7. التوفيق لمصاحبة أهل الإخلاص:

وهذه نعمة بعد نعمة التوحيد لا تعدلها نعمة.

8. استجابة الدعاء:

وقد تقدم قصة أصحاب الغار، و غلام الراهب.

9. حسن الخاتمة:

قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم": "إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله، قيل: كيف يستعمله؟ قال: يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه".³ وحديث الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً، ثم أراد أن يتوب، فبسبب إخلاصه لله تعالى في التوبة، قبض وهو مقبل على الله تعالى.

¹ القرضاوي - النية والإخلاص.

² القرضاوي - النية والإخلاص.

³ صحيح.

10. استقامة الحياة وصلاح الأمة:

إنما تفسد الحياة وتختل موازينها إذا اختفى الإخلاص وبرز النفاق، وعلا صوت المنافقين، وراجت بضاعتهم.. ولا ينقذ الأمم من الضياع والكساد والفساد إلا المخلصون الذي يقومون لله لا للناس، ويعملون للحق لا للهوى، ويجاهدون لإعلاء كلمة الله لا لإعلاء كلمة فلان وعلّان.¹

¹ القرضاوي - النية والإخلاص.

مفاهيم خاطئة ونصحيحها

ما يتوهم أنه رياء وليس كذلك:

1. حمد الناس للرجل على عمل الخير:
قيل لرسول الله "صلى الله عليه وسلم": "أرأيت الرجل الذي يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه؟ قال: تلك عاجل بشرى المؤمن".¹
2. نشاط العبد بالعبادة عند رؤية العابدين:
كسل المرء عند انفراده آت من باب قوله "صلى الله عليه وسلم": "إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية"، ونشاطه داخل من باب امتثاله لقوله "صلى الله عليه وسلم": "عليكم بالجماعة".
3. طلب الإنسان لمنصب يجد أنه أهل له:
كقول يوسف عليه السلام: "اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم".
4. تحسين وتجميل الثياب والنعل ونحوه:
قال النبي "صلى الله عليه وسلم": "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس".²
5. عدم التحدث بالذنوب وكتمانها:
قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم": "كل أمتي معافى إلا المجاهرين".³
6. اكتساب العبد الشهرة من غير طلبها:
غير أن وجودها فتنة على الضعفاء.
7. قصد المكلف المصالح التي أقرَّ الشارع قصدها بالعبادة لا ينافي الإخلاص وليس من الرياء (الفرق بين قاعدة الرياء في العبادة وبين قاعدة التشريك فيها):

¹ مسلم.

² مسلم.

³ متفق عليه.

هناك فرق بين قاعدة الرياء في العبادات (أن يقصد فيها غير الله أي ليراه غير الله من خلقه)، وبين قاعدة التشريك فيها غرض آخر غير الخلق (كقصد التجارة مع الحج، وكمن يجدد وضوئه ليحصل له التبرد)، مع أن الجميع تشريك، فالأول رياء، أما الثاني فليس رياء ولا يقدح في صحة العمل، وهذا لا يمنع أن هذه الأغراض المخالطة للعبادة قد تنقص الأجر، وأن العبادة إذا تجردت عنها زاد الأجر وعظم الثواب، أما الإثم والبطلان فلا سبيل إليه ومن جهته حصل الفرق.¹

ومن العلماء من ذهب إلى أن من خلط بنية الطهارة للصلاة نية التبرد أو غير ذلك فلم يخلص لله، ولم تجزه الصلاة بذلك الوضوء، كابن حزم والقرطبي، وذهب بعضهم إلى ذلك أيضاً في التجارة في الحج أن فيها شركاً في العبادة.

ولقد وردت نصوص كثيرة تخالف ما ذهبوا إليه، ففي الحج يقول تعالى: "ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم"، وصحّ عن ابن عباس أن الآية نزلت في موسم الحج عندما خاف المسلمون البيع وهم حرم.

وذهب أيضاً العز بن عبد السلام في كتابه (قواعد الأحكام) إلى خلاف ذلك، فقد جلى أن انتظار الإمام المسبوق ليدركه في الركوع لا شيء فيه وليس شركاً في العبادة، بل هو جمع بين قربتين لما فيه من الإعانة على إدراك الركوع وهو قرينة أخرى.

ومما يزيد الأمر وضوحاً أن الرسول "صلى الله عليه وسلم" كان يقصر الصلاة إذا سمع بكاء صبي مع عزمه في أولها على التطويل.

والراجح هو قول الإمام القرافي في (الفروق) ومن ذهب إلى رأيه.

ما يتوهم أنه إخلاص وليس كذلك:

1. كالذي يعلم ليفرح بلذة الكلام، أو يغزو ليمارس الحرب ويتعلم أسبابها، فهذا من حظوظ النفس.

2. تذكر أعماله والثناء عليها والسرور بذلك.

3. الرياء لا بالنطق، تعرضاً أو تصريحاً، ولكن بالشمايل، كإظهار النحول والصفار وخفض الصوت وآثار الدموع وغلبة النعاس الدالة على طول التهجد.

¹ القرافي - الفروق.

4. قد يختفي المرء بحيث لا يريد الاطلاع عليه، ولكنه إذا رأى الناس أحب أن يحترموه ويوقروه ويخدموه، فإن قصر في ذلك مقصر ثقل ذلك على قلبه كأن نفسه تتقاضى الاحترام على الطاعة التي أخفاها.
5. إعجاب المرء بأعماله ورؤية الإخلاص الشديد فيها.

حكم العمل المشوب وإسئاق الثواب عليه

إذا تمحض القصد للرياء فالعمل باطل (متفق على ذلك).

بقي ثلاث صور عند قصد الرياء مصحوباً بقصد الثواب، فقد تكون إرادة الثواب أرجح، أو قصد الرياء أرجح، وقد يتساويان.

ذهب الغزالي والصنعاني أنه إذا تساوا الباعثان الديني والنفسي تقاوما وتساقطا وصار العلم لا له ولا عليه، وإذا كان باعث الرياء أقوى فهو ليس بنافع، وهو مع ذلك مضر ومفضٍ للعقاب، وهو أخف من عقاب العمل الذي تجرد للرياء فقط، وإن كان قصد التقرب والثواب أغلب فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الديني.

فلذلك ينبغي أن يكون العبد أبداً بعد كمال الاجتهاد متردداً بين الرد والقبول، خائفاً أن تكون في عبادته آفة وبالها أكثر من ثوابها، وهكذا كان الخائفون من ذوي البصائر، وهكذا ينبغي أن يكون كل ذي بصيرة، هذا مذهب الغزالي والصنعاني.

ولكن المذهب الأقوى هو ما ذهب إليه القرطبي وابن القيم، إلى أن قصد الرياء يفسد الإخلاص ويحبط العمل وإن كان قليلاً، بل ويجلب العقاب عليه.

مع المخلصين

أصحاب الكهف..

صاحب يس..

مؤمن آل فرعون..

جهل أسماءهم وصفاتهم الناس، وعرفهم رب الناس، وكان لهم ذكر وخبر في أهل السماء.

لما قدم عمر بن الخطاب الشام، استقبله الناس وهو على بعيره، فقالوا: يا أمير المؤمنين، لو ركبت برذوناً، يلقاك عظماء الناس ووجوههم، فقال: لا أراكم ههنا، إنما الأمر من ههنا، وأشار بيده إلى السماء، خلّوا جملي.

الولي الكبير مجاب الدعوة أبو مسلم الخولاني:

عن شرحبيل بن مسلم أن الأسود بن قيس العنسي الكذاب لما ادّعى النبوة باليمن بعث إلى أبي مسلم الخولاني، فلما جاءه قال: أتشهد أنني رسول الله؟ قال: ما أسمع، قال: أتشهد أن محمد رسول الله؟ قال: نعم، فردّد ذلك عليه، فأمر بناء عزيمة فأجّبت فألقي فيها أبا مسلم فلم تضرّه، فقل: انفه عنك، وإلا أفسد عليك من تبعك، فأمره بالرحيل، فأتى أبو مسلم المدينة وقد توفي رسول الله "صلى الله عليه وسلم" واستخلف أبوبكر، فأناخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد فقام يصلي إلى سارية، فبصر به عمر فقام إليه، فقال: من الرجل، فقال: من أهل اليمن، قال: لعلك الذي حرّقه الكذاب بالنار؟ قال: ذلك عبد الله بن ثواب، قال: نشدتك الله أنت هو؟ قال: اللهم نعم، فاعتنقه ثم بكى، ثم ذهب به حتى أجلسه فيما بينه وبين أبي بكر، فقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد "صلى الله عليه وسلم" من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الرحمن.¹

عن عبد الملك بن عمير قال: كان أبو مسلم الخرساني إذا استسقى سقى.

قال أستاذ الورع بشر الحافي: يكون الرجل مرثياً في حياته، مرثياً بعد موته، فقل: كيف يكون مرثياً بعد موته؟ قال: يحب أن يكثر الناس على جنازته.²

¹ الحلية.

² صفة الصفوة.

الطريق إلى الإخلاص

1. العلم بالإخلاص والرياء:

لا يعرف الرياء إلا مخلص، ولا بد للسالك إلى الله أن يعرف ماهية الإخلاص وفضله وثمراته ودرجاته وما يتوهم أنه إخلاص وليس كذلك. ولا بد للعبد أن يتعرف على الرياء وأبوابه وأنواعه وأسبابه وعلامته والخفي منه والجلي.

2. معرفة أسماء الله وصفاته والتعبد بها ومعرفة التوحيد:

متى علم العبد أن له رباً له الملك كله والحمد كله وبيده الأمر كله، الغيب عنده شهادة، والسر عنده علانية، يعلم السر وأخفى "وأسرؤا قولكم أو أجهروا به إنه عليم بذات الصدور". قال محمد بن علي الترمذي: (اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك، واجعل شركك لمن لا تنقطع نعمه عنك، واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه، واجعل خضوعك لم لا تخرج عن ملكه وسلطانه).

ومما يسهل الإخلاص معرفة عظمة ملك الملوك، وأن قلوب العباد ونواصيهم بيده. خلقك لنفسه فلا تلعب، وتكفل برزقك فلا تتعب، فاطلبه تجده، فإن وجدته وجدت كل شيء، وإن فاتك فاتك كل شيء، وهو خير لك من كل شيء. وتعلم أن الله بيده النفع والضرر، فلم تخشَ غيره؟! وتكون عبداً لسواه، وغيره هم العبيد المربوبون الأقزام المفاليس.. أحقر من بعوضة في ملك الله!

يستحي العبد أن يقرع أبواب العبيد وأبوابهم مغلقة، وباب سيده ومولاه مفتوح لمن دعاه. ومن كان في كنف الملك القوي العزيز القهار ذو العرش المجيد، كيف يصرف همه إلى من أوله نطفة مذرة، وآخره حيفة قدرة، وهو بين هذا وذاك يحمل العذرة؟! جده البعيد تراب ذليل.. وأبوه القريب ماء مهين.. وهو خرج من مجرى البول مرتين! وأمام نداوة التوحيد وحلاوة الإيمان وأريج الأسماء والصفات تتبدد ظلمات الرياء وحجبه وغشاوته.

3. الاستعانة بالله العلي العظيم، والانطراح على عتبة العبودية، والتعوذ من الرياء

وويلاته:

يعلم العبد أن الدعاء هو العبادة، وأنه يسكب في قلب العبد الندادة والرضا والثقة واليقين، فيعيش منها العبد في جناب رضيٍّ، وملاذ أمين، وهو يدعو سيد السادات الذي ليس له مثل ولا نظير، يلوذ بجنابه ويأتيه بذله وضعفه وانكسار قلبه، يسأله أن يدلّه على طريق المخلصين، وأن يصفى عمله من شوائب الرياء وإرادة المخلوقين.

يتعوذ من الرياء كما علمنا رسول الله "صلى الله عليه وسلم": "يا أيها الناس، اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل، فقال الصحابي: من شاء أن يقول: كيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه".¹

4. التفكير في زوال الدنيا وسرعة فنائها:

حب الدنيا رأس الخطايا والسيئات.

قال الله تعالى: "واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً".

قال النبي "صلى الله عليه وسلم": "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر".²

إن الحياة للأرض تليق بالديدان والأنعام، وإن من يعيش للدنيا فهو حقير ومن هبوط إلى هبوط.

وهل يفرح عاقل بالدنيا والرئاسة والجاه وأن يشار إليه بالأصابع! وإن ملك ما ملك، فإنه ينافس في أقل من جناح بعوضة، من علم هذا أخلص قصده لله، ولا يبيع ما عند الله بالدنيا، ولا يراني المخلوقين من أجلها.

¹ صحيح الجامع.

² مسلم.

5. الخوف من سوء الخاتمة وعذاب القبر:

إذا علم المرء أن النفس قد يخرج ولا يعود، وأن العين قد تطرف ولا تطرف الأخرى إلا بين يدي الله، وأن الموت نازل به لا محالة، وأنه يحشر ويبعث على نيته فيخشى أن يفضحه رياؤه وميراثه يوم موته.

وفي القبر يأتي الرياء والعمل الخبيث ممثلاً في رجل قبيح الوجه، منتن الريح، فيقول للمرائي: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعده، وأما المخلص فيأتيه إخلاصه رجل حسن الوجه، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، أبشر برضوان من الله، وجنات فيها نعيم مقيم، هذا يومك الذي كنت توعده.

6. وضع الآخرة نصب عينيه كأنه يعاينها، فيطالع نعيم المخلصين، وذلل وهوان

المرائين:

من علم ما في اليوم العقيم القمطرير من ذل ونعيم سار في درب المخلصين، ولو تدبر أن فضوح الآخرة هو الفضوح، وأن المرائي ينادى به على رؤوس الأشهاد: "ما عندكم ينفذ وما عند الله باق"، وأن الله يُسمع به مسامع خلقه ويصغره ويحقره يوم القيامة، وأن عمله سيكون هباءً منثوراً.. هان عليه ترك الرياء اليوم.

7. التفكير في نعيم الجنة دار المخلصين، وفي عذاب النار مصير أهل الرياء والبوار.

8. الخوف من مقت الله وغضبه والسقوط من عينه، والخوف من حبوط العمل:

العاقل يخاف مقت الله إذا اطلع على قلبه وهو منطوٍ على الرياء، ويعلم أن فراره من ذم الله ومقته أولى من الفرار من ذم الناس.

المخلص لا يزول عنه خوفه على العمل: "والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون".

قال أبو الدرداء: اللهم إني أعوذ بك من خشوع النفاق، قيل: وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى البدن خاشعاً والقلب ليس بخاشع.

قال الحسن: ما خافه إلا مؤمن ولا آمنه إلا منافق.

9. الحرص على إخفاء الأعمال، والمداومة على قيام الليل وصيام النافلة:

فقيام الليل والصيام تدريب عملي على الإخلاص، قال قتادة: (كان يُقال: قلما سهر الليل منافق)، وقيل: لا يقوم الليل منافق، وقال الإمام أحمد: لا رياء في الصوم.

10. ترك الطمع مما في أيدي الناس، واليأس منه:

فمفاتيح خزائن كل شيء بيد الله فالزم سدته.

11. العزلة والخلوة:

الخلوة مهر بكر الفكر، وسلم معراج الهمة، الأنس بالإنس ربق، والمخالطة توجب التخليط، قطع العلائق أصل الوصول، فرغ لي بيتاً أسكنه.¹
كان ابن المبارك يكثر الجلوس في بيته.

وقال الإمام أحمد: أشتي ما لا يكون، أشتي مكاناً لا يكون فيه أحد من الناس.
قال ذو النون: إذا أنس الحكيم بالوحدة فقد اعتقد الإخلاص، حينئذٍ تحركه الحكمة للحق والصواب.

وقال: الاستئناس بالناس من علامة الإفلاس.

أخي: استوحش من أهل الدنيا شغلاً بصحبة "أنا جليس من ذكرني".

قال ابن الجوزي: من أراد اجتماع همه وإصلاح قلبه، فليحذر من مخالطة الناس في هذا الزمان، وإن الذي يخلو بحبيبه لا يؤثر حضور غيره، ولو كان عند نفسك شغل بالخالق لما أحببت الزحمة.²

12. صحبة المخلصين:

قال النبي "صلى الله عليه وسلم": "مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك إما أن تشتريه أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة".³

¹ ابن الجوزي - المدهش.

² صيد الخاطر.

³ البخاري.

قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم": "أولياء الله الذين إذا رؤوا ذكر الله تعالى".¹
قال جعفر بن سليمان: كنت إذا وجدت من قلبي قسوة، غدوت فنظرت إلى وجه محمد بن واسع، كان كأنه تكلّى".²

قال الفضيل بن عياض: نظر المؤمن إلى المؤمن يجلو القلب.
أخي: اصحب من يملك في سيرك إلى الله.

13. قراءة تراجم أهل الإخلاص والمعاني:

لله درّ بشر بن الحارث الحافي إذ يقول: كم من أناسٍ موتى تحيا القلوب بذكرهم، وأناس أحياء تموت القلوب برؤيتهم.

إن أخبار العلماء العاملين والنبهاء الصالحين من خير الوسائل التي تغرس الفضائل في النفوس، وتدفعها إلى تحمل الشدائد والمكاره في سبيل الغايات النبيلة والمقاصد الجليلة، وتبعثها إلى التأسي بذوي التضحيات والعزمات لتسمو إلى أعلى الدرجات وأشرف الغايات.
قال أحد الصالحين: الحكايات جند من جنود الله، يثبت الله بها قلوب أوليائه.

قال مالك بن دينار: الحكايات تحف الجنة.

ومطالعة التراجم وسبر مواطن العظة في حياة العظماء، وسيلة هامة من وسائل التربية بعد أن ندر وجود المخلصين، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة.

قال نعيم بن حماد: كان ابن المبارك يكثر جلوسه في بيته، فقيل له: ألا تستوحش؟ فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبي "صلى الله عليه وسلم" وأصحابه!³
فاتني أن أرى الديار بطرفي ... فلعلّي أرى الديار بسمعي

14. محاسبة النفس ومجاهدتها ومخالفة الهوى:

حاسب نفسك قبل أن تقدّم على العمل، وانظر في همك وقصدك.

¹ حسن.

² السير.

³ السير.

قال الحسن: (كان أحدهم إذا أراد أن يتصدق بصدقة تثبت، فإن كانت لله أمضاها)، وقال: (رحم الله عبداً وقف عند همه، فليس يعمل عبد حتى يهم، فإن كان لله مضى، وإن كان لغيره تأخر).

ثم تلي المحاسبة المجاهدة، قال تعالى: "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين".

قال الجنيد: لنهدينهم سبل الإخلاص.

حاسب نفسك، فإن رمقت نفسها بعين العجب، فذكرها بخساسة الأصل.
يا هذا طهر قلبك من الشوائب، فالإخلاص لا يلقى إلا في قلب طاهر.
مخالفة الهوى مؤدية إلى الإخلاص:

لا يجتمع في قلب إخلاص وهوى، فالمخلص متجه إلى الله بكليته، وصاحب الهوى يدور حول نفسه، فلا بد من جهاد الهوى والشهوات ومخالفتها.

وجهاد الهوى يكون:

أ- بتحويل الاتجاه إلى الشهوات المباحة: وأن نأخذ محبوبات النفس من الطريق الذي أحله الشارع.

ب- وتقوية الإرادة: وهذا لا يتأتى إلا بعلم وبصيرة ومعرفة بالحلال والحرام، وهو في هذا يحتاج إلى عزيمة قوية وإرادة صلبة بتبصير الإنسان مغبة اتباع الهوى في الدنيا والآخرة، فيقوى داعي الإخلاص، ويضعف داعي الهوى، والإكثار من العمل الصالح يقوي الإرادة ويزكي النفس.

ت- إحياء واعظ الله في قلوبنا: المتتبع لآيات الكتاب والسنة يعلم علم اليقين أن في أعماقنا وازعاً يدفعنا إلى الخير ويزجرنا عن الشر، قد يطمس هذا الوازع فلا يظهر إلا في آماذ متتابعة، وقد يلح على صاحبه ويقلقه.

15. لا سبيل للشيطان على المخلصين، فكن في حرز منه وحصن حصين:

الشيطان أس البلايا ومنبع الشرك والرياء، ولكن لا سبيل له على المخلصين، هم منه في حرز أمين، وحتى يكون ما بيننا وبينه أبعد مما بين الخافقين، يتخذ الإنسان من الأسباب

والوسائل التي ينفر منها الشيطان، وهي كثيرة منها: آية الكرسي، وكلمة التوحيد، والأذكار الشرعية، وقراءة القرآن.

فج الرياء

قال الحسن البصري: (لا يزال العبد بخير ما علم ما الذي يُفسد عليه عمله، فلا غنى للعبد عن معرفة ما أمرنا باتقائه من الرياء، إذ وُصف بالخفاء، وفي الحديث أنه أخفى من دبيب النمل، فما خفي لم يُعرف إلا بشدة التفقد ونفاذ البصيرة، بمعرفته له حين يعرض، وإلا لم ينفع التفقد لما لا يعرف، فبالخوف والحذر يتفقد العبد الرياء، وبمعرفته يبصره حين يعرض، فلا غنى بك عن معرفة الرياء).¹

قال أبو سليمان الداراني: التوقي عن العمل أشد من العمل.
قال سفيان الثوري: ما زلت أرائي وأنا لا أشعر إلى أن جالست أبا هاشم، فأخذت منه ترك الرياء.

الرياء حرام، والرياء زيف كاسد في سوق تجارة، والمرائي عند الله ممقوت، المرائون قوم يحتالون للدنيا بالدين، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمرّ من الصبر، يلبسون للناس مسوح الضأن، قلوبهم قلوب الذئاب، أعلّى الله يجترئون وبه يغترون؟!
فعياداً بالله من قوم مخصبة ألسنتهم، مجدبة قلوبهم.

ويلات الرياء:

1. المرائون هم أول من تُسعر بهم النار:

لو لم يكن للمرائي من الخزي إلا هذا لكفاه صارفاً له عن الرياء، كما في حديث الثلاثة: "أول من تسعر لهم النار" وهم الشهيد والعالم والمنفق.²

2. الرياء يورث الذلة والصغار في الدنيا والآخرة:

قال الحسن البصري عن العصاة ومنهم المرائين: (إنهم وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين فإن ذل المعصية لا يفارق قلوبهم، أبى الله إلا يذل من عصاه).
قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم": "من سمع سمع الله به، ومن رأى رأى الله به".³

¹ الرعاية لحقوق الله.

² أخرجه مسلم.

³ مسلم.

3. حرمان الأجر في الآخرة:

قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم": "بشّر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة، والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا، لم يكن له في الآخرة نصيب".
قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم": "قال الله: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك".¹

4. الرياء يُبطل العمل ويمحقه:

قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم": "إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء، يقول الله يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء".²

5. الرياء سبب هزائم الأمة:

قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم": "إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم".
حتى تعي الأمة الغافلة المتغافلة ما حدث في هزيمة يونيو عام 1967م، حين كانت إذاعات مصر تردد: قاتل وأم كلثوم معك في المعركة، قاتل وعبد الحليم معك في المعركة.
هل تتوقع القدس نصراً على يد أبي عمار الذي هو بألف وجه مستعار، لا هم له إلا تقبيل بيريز وشارون ورابين وهم يأنفون من ذلك، بل اشترطوا عند لقاءهم به الواحد تلو الآخر ألا يعانقهم عرفات.. عرفات الذي يقول: رابين ابن عمي، رابين قائد شجاع، هل تتوقع الأمة نصراً على يد المنافقين المرائين الذين ذرفوا الدموع على رابين.. يوم أن ينتهي النفاق والرياء والدجل من الكبار العلمانيين.. ويوم أن تعود الأمة إلى دينها وإخلاصها ستتتصر.. وإلا فلا.

¹ صحيح.

² صحيح.

6. الرياء والمظهرية الجوفاء سبب نضياح الأمة:

رُبَّ أشعث أغبر شمع نعله أفضل من كل هذه الزعامات الكاذبة، التي ابتليت بها الأمة.. التي صنعت على عين الصليبية العالمية واليهودية. ونختم رداً على المرائين الذين صيغت لهم الأمجاد الكاذبة، وكانت لهم الأبواق الكاذبة، والأفواه الناعرة، بأقوال المخلصين الذين ترك الله لهم لسان صدق في الآخرين: لما أتى أمير المؤمنين عمر لتسلم مفاتيح القدس في ثيابه المرقعة، قال له أبو عبيدة: تلقاك الجنود وبطارقة الشام وأنت على حالك هذه! ما يسرني أن أهل البلد استشفوك. فضربه عمر في صدره وقال: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فإن ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله. ويوم تاهت منا هذه المعاني بدجل المرائين أشباه الرجال.. تاهت الأرض من تحت أقدامنا وأذلنا الله.

أبواب الرياء ودرجاته:

1. أن يكون مراد العبد غير الله، ويريد أن يعرف الناس أنه يفعل ذلك: كالذي يصلي أمام الناس وبينهم، فإذا انفرد لم يصل، فهذا صنف من النفاق.
2. أن يكون مراد العبد لله، فإذا اطلع عليه الناس نشط في العبادة وزينها: وهذا رياء بأوصاف العبادة لا بأصلها، وهو من الرياء المحذور. ورجح جمع من العلماء كالإمام أحمد والطبري أن عمله لا يبطل بذلك، وأنه يجازى بنيته الأولى، ولكن ثواب العامل على هذا النحو غير تام، بل فيه نقصان بسبب ريائه، ولا يبعد أن يكون على خطر عظيم.
3. أن يدخل العبد في الشيء لله، ويخرج منه لله، فعرف بذلك ومدح، فسكن إلى مدح الخلق وسر به: فهذا السرور يدل على رياء خفي، لأن قلبه مغمور فرحاً باطلاعهم عليه، ولولا التفات القلب إلى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس.

أسباب الرياء:

أصل الرياء حب الجاه، وقيام المنزلة في قلوب الخلق، وهذا يرجع إلى ثلاثة أصول:

- حب لذة المدح.
- الفرار من الذم.
- الطمع فيما في أيدي الناس.

علامات الرياء.. جليّة ودقيقة

من علامات المرائي:

1. تأخير العبادة عن مواقيتها دون عذر شرعي:

قال تعالى: "قويل للمصلين، الذين هم عن صلاتهم ساهون، الذين هم يراؤون، ويمنعون الماعون".

2. القيام بالعبادة بخمول ونفس خبيثة:

قال تعالى: "إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً".

ترك العمل لأجل الناس رياء:

قال الفضيل: العمل لأجل الناس شرك، وترك العمل لأجل الناس رياء، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

ومعنى ترك العمل لأجل الناس ألا يحب أن يعمل إلا في محل يحمده الناس فيه، فإن لم يحج من يحمده ترك العمل وكسل عنه.

ومعنى آخر: أن من عزم على عبادة، وتركها مخافة أن يراه الناس فهو مرء، لأنه ترك العمل لأجل الناس.

وترك العمل خوفاً من الرياء حباله من حبال إبليس، ولذلك ينصح من طرقه مثل هذا ألا يلتفت إليه، وأن يمضي فيه إغاضة للشيطان.

من دقيق الرياء وخفيّة:

1. أن تخفي الطاعة، وتحب أن يبدأك الناس بالسلام والبشاشة، وأن يوقروك وينشطوا

في قضاء حوائجك، فإن قصر فيك مقصر ثقل ذلك على قلبك، كأنك تتقاضى الاحترام على طاعتك التي أخفيتها.

2. أن يجعل الإخلاص لله وسيلة - لا غاية ولا مقصد - لأحد المطالب الدنيوية: كالعلم أو الحكمة أو المكاشفات.

3. ذم النفس بين الناس، يريد بذلك أن يرى الناس أنه متواضع عند نفسه، فيرتفع بذلك عندهم ويمدحونه به.

قال الحسن البصري: من ذمَّ نفسه في الملاء، فقد مدحها، وذلك من علامات الرياء.

قال سفيان الثوري: إن العبد ليعمل العمل في السر، فلا يزال به الشيطان حتى يتحدث به، فينتقل من ديوان السرّ إلى ديوان العلانية.

علاج الرياء

تكلّمنا من قبل عن طريق الإخلاص، وكيف يصبح من المخلصين، وهو نفسه طريق علاج الرياء.

تذكر أن الرياء محبط للأعمال وسبب للمقت عند الله. أصل الرياء حب المنزلّة والجاه، وإذا فصلّ رجع إلى ثلاثة أصول وهي: لذة المحمّدة، والفرار من ألم الذم، والطمع فيما في أيدي الناس، فدعك من هذا، واهتم بمن مدحه زين وذمّه شين، واسع إلى المنزلّة عند الله جلّ جلاله. العباد كلهم عجرة لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً، فلا تلتفت لهم أبداً، واقصد وجه العزيز الحميد.

أي خير لك في مدح الناس وأنت عند الله مذموم ومن أهل النار؟ وأي شرّ لك من ذم الناس وأنت عند الله محمود في زمرة المقربين؟ أقبل على الله بقلبك، يقبل الله بقلوب عباده إليك. عود نفسك إخفاء العبادات وإغلاق الأبواب دونها، كما تغلق الأبواب دون الفواحش حتى يقنع قلبك بعلم الله، أو اطلاعه على عباداتك، ولا تنازعك نفسك إلى طلب علم غير الله.

أثناء العبادة: دافع الخطرة عند معرفتك باطلاع الخلق أو رجاء اطلاعهم، وقل لنفسك: مالك وللخلق! علموا أو لم يعلموا.. والله عالم بحالك، فأني فائدة في علم غيره. فإذا هاجت الرغبة إلى لذة الحمد تذكر آفات الرياء وتعرضك للمقت عند الله يوم القيامة وخيبتك في أحوج أوقاتك إلى أعمالك.

لا فائدة لعلاج الرياء إلا في اجتماع ثلاث:

أ. معرفة الرياء وآفاته.

ب. كراهة الرياء.

ت. إباء الرياء ومدافعتة.

لا بد أن يكون العبد على حذر دائماً من الشيطان، وأن يحرس قلبه وعمله منه، وهو مع ذلك يشتغل بذكر الله وعبادته، وهذا يعينه على إبطال كيد الشيطان وردّه.

مواعظ النبلاء في الترهيب من الرياء

قال الحسن البصري: واعجباه من ألسنة تصف، وقلوب تعرف، وأعمال تخالف! وكان عكرمة يقول: (ما رأيت أقل عقلاً ممن يعلم من نفسه السوء، ويحب من الناس أن يصفوه بالعلم والصلاح، ولا بد لقلوب المؤمنين أن تطلع على سوء سريرته، ومثله مثل من غرس شوكاً وطلب أن يحمل له رطباً).

قال الفضيل بن عياض: أدركنا الناس وهم يراءون بما يعملون، فصاروا الآن يراؤون بما لا يعملون.

كان أيوب السخيتاني يقول: إن من الرياء بما لا تعمل تطاولك على غيرك بما تحفظه من كلام الناس وأقوالهم في العلم، فإن ذلك الذي تتطاول به ليس من عملك ولا استنبطته. قال أبو العالية: أدركت ثلاثين من أصحاب محمد "صلى الله عليه وسلم" كلهم يخاف على نفسه من النفاق.

قال مطرف: إن أقبح ما طُلبت به الدنيا عمل الآخرة. لا تبغين جاهاً وجاهك ساقط ... عند الإله وكن للموت حذراً أراك مرآية منذ ثلاثين سنة وأنا لا أدري:

عن الجنيد قال: سمعت السري يقول: خفيت عليّ علة ثلاثين سنة، وذلك أنا كنا جماعة نبكر إلى الجمعة، ولنا أماكن قد عُرِفَت بنا، لا نكاد أن نخلو منها، فمات رجل من جيراننا يوم جمعة فأحببت أن أشيع جنازته، فشيعتها وأضحيت عن وقتي، ثم جئت أريد الجمعة، فلما أن قربت من المسجد قالت لي نفسي: الآن يرونك وقد أضحيت وتخلّفت عن وقتك! فشق ذلك عليّ، فقلت لنفسي: أراك مرآية منذ ثلاثين سنة وأنا لا أدري؟! فتركت ذلك المكان الذي كنت آتيه، فجعلت أصلي في أماكن مختلفة لئلا يُعرف مكاني هذا أو نحوه.¹

قال الحارث بن قيس النخعي: إذا هممت بأمر خير فلا تؤخره، وإذا أتاكَ الشيطان وأنت تصلي فقال: إنك مرء، فزدها طويلاً.²

¹ تهذيب الحلية.

² تهذيب الحلية.

عن بديل بن ميسرة العقيلي قال: من أراد بعمله وجه الله أقبل الله عليه بوجهه، وأقبل بقلوب العباد إليه، ومن عمل لغير الله تعالى صرف عنه وجهه وصرف قلوب العباد عنه.¹
كان وهب بن منبه يقول: من طلب الدنيا بعمل الآخرة نكس الله قلبه، وكتب اسمه في ديوان أهل النار.

¹ تهذيب الحلية.

كلمات الربانيين في الإخلاص والمخلصين

قال رجل لأبي الدرداء: أوصني، فقال له: اذكر يوماً تصير السريرة فيه علانية.¹
قال صالح بن مهران: كل عمل لغير الله فهو ذنب على صاحبه، والإخلاص: اليقين.
قال محمد بن واسع: إذا أقبل العبد بقلبه إلى الله أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه.
قال رجل لمحمد بن النضر: أين أعبد الله؟ قال: أصلح سريرتك واعبده حيث شئت.
قال يحيى بن معاذ: اتقوا الله الذي إليه معادكم، وانظروا ألا تكونوا ممن يعرفهم جيرانهم وإخوانهم بالخير والإرادة والزهادة والعبادة.. وحالكم عند الله على خلاف ذلك، فإن الله إنما يجزيكم على ما يعرف منكم، لا على ما يعرفه الناس، ولا تكونوا ممن يولع بصلاح الظاهر الذي إنما هو للخلق، ولا ثواب له بل عليه العقاب، ويدع الباطن الذي هو الله، وله الثواب وعليه العقاب.²

قال الإمام أحمد: الإخلاص سيفٌ، إذا وُضع على جرح برأ.
قال إبراهيم بن أدهم: بلغني أن عمر بن عبد العزيز قال لخالد بن صفوان: عظمي وأوجز، فقال خالد: يا أمير المؤمنين، إن أقواماً غرهم ستر الله وفتنهم حسن الثناء، فلا يغلبن جهل غيرك بك علمك بنفسك، أعاذنا الله وإياك أن نكون بالستر مغرورين، وبثناء الناس مسرورين، وعما افترض الله علينا متخلفين ومقصرين، وإلى الأهواء مائلين، قال: فبكى ثم قال: أعاذنا الله وإياك من اتباع الهوى.³

قال ابن الجوزي: أيها المرائي، قلب من ترائيه بيد من تعصيه.⁴
قال ابن الجوزي: العمل صورة، والإخلاص روح، الإخلاص اليسير كثير، ووجوه عمل الرياء عدم، خليج صافٍ أنفع من بحر كدر، إذا لم تخلص فلا تتعب، لما أخذ دود القز ينسج، أقبلت العنكبوت تتشبه، وقالت: لك نسج ولي نسج، فقالت دودة القز: ولكن نسجي أردية الملوك ونسجك شبكة للذباب، وعند مس النسجين يبين الفرق.. كان الزهد في بواطن القلوب، فصار في ظاهر الثياب.⁵

¹ تنبيه المغترين.

² تهذيب الحلية.

³ تهذيب الحلية.

⁴ المدهش.

⁵ المدهش.

قال ابن الجوزي: إنما يتعثر من لا يُخلص، وإنما يمتنع بالإخلاص ممن لا يُراد.¹
إخواني.. أعجب العجائب أن النقاد يخافون دخول البهرج في أموالهم، والمبهرج آمن! هذا
الصديق يمسك لسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد، وهذا عمر يقول: يا حذيفة، هل أنا
منهم؟! والمخلط على بساط الأمن.²

خاتمة

أخي..
أما أن لك أن تقول: تشاغل الناس بلبذاتهم، وعبدوا شهواتهم، وقد جئت إليك يا إلهي، وقصدي
إليك يا ذا الجلال والإكرام.
اللهم حصن قلوبنا بطهارة الصفاء، وزينها بالإخلاص والحياء.
اللهم اجعلنا ممن خلت من غيرك قلوبهم وهمومهم، واشتغلت بذكرك ألسنتهم وعقولهم،
وانصرفت عن خلقك إليك همومهم، وأنست وطابت بالخلوة فيك نفوسهم.
اللهم يا واسع المغفرة، ويا باسط اليدين بالرحمن، افعل بنا ما أنت أهله، واسوأته منك إذا
شاهدتني وهمتي تسبق إلى سواك، اللهم لا تقطع رجاءنا يوم يفرح الفائزون.
اللهم إني أسألك بنور وجهك الذي أشرقت له الأرض والسموات.. أن تجعلني في حرزك
وحفظك وجوارك وتحت كنفك، واجعل وجهك الكريم قصدنا وبغيتنا، ومتعنا بالنظر إليك في
فردوسك الأعلى..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

¹ صيد الخاطر.

² ابن الجوزي – صيد الخاطر.

جدول المحتويات

2	المقدمة
2	عبودية القلب
2	عبودية القلب أعظم وأدوم من عبودية الجوارح:
3	صلاح القلب موقوف على إخلاصه:
3	الإخلاص عزيز ومرتقى صعب:
5	النية
5	النية:
6	فضل النية:
10	نية المؤمن خير من عمله:
10	النية في كل شيء:
10	وانظر ماذا فعل الذين يريدون وجه الله:
12	الإخلاص
12	الإخلاص عكوف القلب على مولاه:
12	الإخلاص لغة:
12	الإخلاص اصطلاحاً:
13	فضل الإخلاص:
14	شجرة الإخلاص في القلب:
16	أين الثمن؟
17	حقيقة الإخلاص ودرجانه
17	درجات الإخلاص:
18	لغة:
19	علامات الإخلاص
19	أولاً: إخفاء العمل
22	الطاعة والمعصية بين الإسرار والعلانية:
23	ثانياً: الخوف من الشهرة
24	ثالثاً: اتهام النفس ومقتها

- 25..... العلامة الرابعة: البعد عن السلاطين والأمراء وأصحاب الرئاسات
- 26..... العلامة الخامسة: ألا يغتر بمدح الناس، وأن يستوي عنده مدح الناس وذمهم له
- 26..... العلامة السادسة: استواء العمل في القيادة والجنديّة
- 27..... العلامة السابعة: ألا يغيره المنع والعطاء
- 27..... العلامة الثامنة: الفرح بكل موهبة وكفاية تبرز في الصف الإسلامي
- 27..... العلامة التاسعة: الحرص على العمل المتعدي نفعه للغير وإن كانت لذّة النفس في عمل مفضول عنه
- 28..... العلامة العاشرة: الصبر على طول الطريق دون التفات إلى النتائج

29..... ثمرات الإخلاص

- 29..... 1. النصر والكفاية الربانية:
- 29..... 2. تفريج الكرب في الدنيا:
- 29..... 3. حب أهل السماء للمخلص ووضع القبول له في الأرض والصيت الطيب عند الناس:
- 29..... 4. سكينّة القلب وطمأنينته:
- 29..... 5. القوة الروحية:
- 30..... 6. الدوام والاستمرارية في العمل:
- 30..... 7. التوفيق لمصاحبة أهل الإخلاص:
- 30..... 8. استجابة الدعاء:
- 30..... 9. حسن الخاتمة:
- 31..... 10. استقامة الحياة وصلاح الأمة:

32..... مفاهيم خاطئة ونصحيحها

- 32..... ما يتوهم أنه رياء وليس كذلك:
- 33..... ما يتوهم أنه إخلاص وليس كذلك:

34..... حكم العمل المشوب وإسئحاق الثواب عليه

35..... مع المخلصين

36..... الطريق إلى الإخلاص

- 36..... 1. العلم بالإخلاص والرياء:
- 36..... 2. معرفة أسماء الله وصفاته والتعبد بها ومعرفة التوحيد:
- 37..... 3. الاستعانة بالله العلي العظيم، والانطراح على عتبة العبودية، والتعوذ من الرياء وويلاته:

4. التفكير في زوال الدنيا وسرعة فنائها: 37
5. الخوف من سوء الخاتمة وعذاب القبر: 38
6. وضع الآخرة نصب عينيه كأنه يعاينها، فيطالع نعيم المخلصين، وذل وهوان المرئيين: 38
7. التفكير في نعيم الجنة دار المخلصين، وفي عذاب النار مصير أهل الرياء والبوار. 38
8. الخوف من مقت الله وغضبه والسقوط من عينه، والخوف من حيوط العمل: 38
9. الحرص على إخفاء الأعمال، والمداومة على قيام الليل وصيام النافلة: 39
10. ترك الطمع مما في أيدي الناس، واليأس منه: 39
11. العزلة والخلوة: 39
12. صحبة المخلصين: 39
13. قراءة تراجم أهل الإخلاص والمعاني: 40
14. محاسبة النفس ومجاهدتها ومخالفة الهوى: 40
15. لا سبيل للشيطان على المخلصين، فكن في حرز منه وحصن حصين: 41
- فج الرياء** 43
- ويلات الرياء: 43
- أبواب الرياء ودرجاته: 45
- أسباب الرياء: 46
- علامات الرياء.. جليّه ودقيقه** 47
- من علامات المرئيين: 47
- ترك العمل لأجل الناس رياء: 47
- من دقيق الرياء وخفّيه: 47
- علاج الرياء** 49
- مواظب النبلاء في الترهيب من الرياء** 50
- كلمات الربانيين في الإخلاص والمخلصين** 52
- خاتمة** 53